دار الكتب والوثائق القومية
مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر

عجائب الآثار
في
التراجم والأخبار

تأليف

عبد الرحمن بن حسن الجبرتي

تحقيق

الأستاذ الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم

عن طبعة بولاق

الجزء الثالث

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة
١٩٩٨

وفى أثنـاء خروج مراد بيك والحـركة بدت الوحشـة فى الأسواق ، وكثر الـهرج بين الناس والإرجـاف ، وانقطعـت الطرق وأخـذت الحرامية فى كل ليلـة تطرق أطراف البلد ، وانقطع مشى الناس من المـرور فى الطرق والأسواق من المغرب ، فنادى الأغا والوالى بفتح الأسواق والقهاوى ليلاً ، وتعليق القناديل على البيوت والدكاكين وذلك لأمرين ، الأول : ذهاب الوحشة من القلوب وحصول الاستئناس ، والثانى : الخوف من الدخيل فى البلد .

وفى يوم الإثنين[١] ، وردت الأخبار بأن الفـرنسيس وصلوا إلى دمنـهور ورشيد وخرج معظم أهل تـلك البلاد على وجوههم فذهبوا إلـى فوة ونواحيها[٢] ، والبعض طلـب الأمان وأقام ببـلده ، وهم الـعقلاء ، وقد كـانت الفـرنسيـس حين حلولـهم بالإسكندرية كتبوا مـرسوماً وطبعوه وأرسلوا منه نسخاً إلى البلاد الـتى يقدمون عليها تطمينـاً لهم ، ووصل هذا المكتوب مع جـملة من الأسارى[٣] الذين وجدوهم بمالطة وحضروا صحبتهـم ، وحضر منهم جملة إلى بولاق ، وذلك قبـل وصول الفرنسيس بيوم أو بيومين ومعهم منه عدة نسخ ، ومنهم مغاربة ، وفيهم جواسيس ، وهم على شكلهم من كفار مالطة ، ويعرفون باللغات.

وصورة ذلك المكتوب[٤]

« بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله لا ولد له ولا شريك له فى ملكه ، من طرف الفـرنساوية المبنـى على أساس الحريـة والتسوية ، الـسر عسكر الكـبير[٥] أمير الجيوش الـفرنساوية بـونابارته ، يعرف أهـالى مصر جمـيعهم ، أن من زمـان مديد الصناجق الذين يتسلطون فى البلاد المصـرية ، يتعاملون بالذل والاحتقار فى حق الملة الفرنساوية ، ويظـلمون تجارها بأنواع الإيذاء والتعدى ، فحضر الآن سـاعة عقوبتهم وأخرنـا من مدة عصـور طويلة هـذه الزمرة المـماليك المجـلوبين من بـلاد الأبازة ، والجراكسة[٦] يفسدون فى الإقليم الحسن الأحسن الذى لا يوجد فى كرة الأرض كلها، فأما رب العـالمين القادر على كل شـئ فإنه قد حكم عـلى انقضاء دولتهـم ، يا أيها

---

(١) ٢٥ محرم ١٢١٣ هـ / ٩ يوليه ١٧٩٨ م .

(٢) فوة ونواحيها : انظر ، الجزء الأول ، ص ٥٣٢ ، حاشية رقم (١) .

(٣) الأسارى : الأسرى ، مفردها أسير .

(٤) كتب على هامش ص ٤ ، من طبعة بولاق : «صورة المكتوب الـصادر من الفرنساوية إلى البلاد التى يقدمون عليها» .

(٥) السرعسكر الكبير : القائد العام للعساكر الفرنسية .

(٦) بلاد الأبازة والجراكسة : الأبازة هم المماليك المجلوبون من بـلاد القوقاز ، وهى المنطقة الممتدة مـن البحر الأسود إلى بحر قزوين ، والجراكسة هم المماليك المجلوبـون من بلاد جركس ، على الشاطئ الشرقى للبحر الأسود ، وتقع غربى القوقاز .
انظر : البستانى ، بطرس : دائرة المعارف .

المصريون قد قيل لكم ، إننى ما نزلت بهذا الطرف إلا بقصد إزالة دينكم ، فذلك كذب صريح ، فلا تصدقوه وقولوا للمفترين إننى ما قدمت إليكم إلا لأخلص حقكم من يد الظالمين ، وأننى أكثر من المماليك أعبد الله سبحانه وتعالى ، وأحترم نبيه والقرآن العظيم، وقولوا أيضاً لهم ، « إن جميع الناس متساوون عند الله ، وأنَّ الشئ الذى يفرقهم عن بعضهم هو العقل والفضائل والعلوم فقط ، وبين المماليك والعقل والفضائل تضارب، ماذا يميزهم عن غيرهم حتى يستوجبوا أن يتملكوا مصر وحدهم، ويختصوا بكل شئ أحسن فيها من الجوارى الحسان والخيل العتاق ، والمساكن المفرحة، فإن كانت الأرض المصرية التزاماً للمماليك فليرونا الحجة التى كتبها الله لهم، ولكن رب العالمين رءوف وعادل وحليم » ، ولكن بعونه تعالى من الآن فصاعداً لا ييأس أحد من أهالى مصر عن الدخول فى المناصب السامية ، وعن اكتساب المراتب العالية ، فالعلماء والفضلاء والعقلاء بينهم سيدبرون الأمور ، وبذلك يصلح حال الأمة كلها ، وسابقاً كان فى الأراضى المصرية المدن العظيمة والخلجان الواسعة والمتجر المتكاثر ، وما أزال ذلك كله إلا الظلم والطمع من المماليك ، أيها المشايخ والقضاة والأئمة ، والجربجية[1] وأعيان البلد ، قولوا لأمتكم : «إنَّ الفرنساوية هم أيضاً مسلمون مخلصون ، وإثبات ذلك أنهم قد نزلوا فى رومية الكبرى وخربوا فيها كرسى البابا الذى كان دائماً يحث النصارى على محاربة الإسلام ، ثم قصدوا جزيرة مالطة وطردوا منها الكوالرية[2] ، الذين كانوا يزعمون أن الله تعالى يطلب منهم مقاتلة المسلمين ، ومع ذلك الفرنساوية فى كل وقت من الأوقات صاروا محبين مخلصين لحضرة السلطان العثمانى ، وأعداء أعدائه أدام الله ملكه ، ومع ذلك إنَّ المماليك امتنعوا من إطاعة السلطان غير ممتثلين لأمره ، فما أطاعوا أصلاً إلا لطمع أنفسهم ، طوبى ثم طوبى لأهالى مصر الذين يتفقون معناً بلا تأخير فيصلح حالهم وتعلى مراتبهم ، طوبى أيضاً للذين يقعدون فى مساكنهم غير مائلين لأحد من الفريقين المتحاربين ، فإذا عرفوا بالأكثر تسارعوا إلينا بكل قلب ، لكن الويل ثم الويل للذين يعتمدون على المماليك فى محاربتنا ، فلا يجدون بعد ذلك طريقاً إلى الخلاص ، ولا يبقى منهم أثر .

à qui s'adresse-t-il ?

---

(١) الجربجية : مفردها «جوربجى» فارسية ، وتعنى ضابط إنكشارية ، وهم رؤساء المشاة ، وكان الجربجى ، يركب حصاناً ، ويلبس جبة حمراء من الجوخ ، وخُفًا أصفر ، والجربجى ، يشرف على أمور الكتيبة ، وله حق تأديب الجند فى الجرائم الصغيرة .

سليمان ، أحمد السعيد : تأصيل ما ورد فى الجبرتى من الدخيل ، دار المعارف ١٩٧٩ م ، ص ٦٦-٦٧ .

(٢) الكوالرية : Chévaliers ، تعنى الفرسان ، وهم طائفة دينية ، تعرف باسم فرسان القديس يوحنا الأورشليمى ، كانوا يقطنون أولاً جزيرة رودس ، ثم انتقلوا إلى جزيرة مالطة ، وقد أصبح حكمها بيدهم ، حتى استولى عليها بونابرتة وقضى على حكمهم .

Les cinq commandements du général Bonaparte :

المادة الأولى : جيمع القرى الواقعة فى دائرة قريبة بثلاث ساعات عن المواضع التى يمر بهـا عسكر الفرنساوية ، فواجب عليها أن ترسل للسر عسكر من عندها وكلاء ، كيما يعرف المشار إليه أنهم أطاعوا وأنهم نصبوا علم الفرنساوية الذى هو أبيض وكحلى وأحمر .

المادة الثانية : كل قرية تقوم على العسكر الفرنساوى تحرق بالنار .

المادة الثالثة : كل قرية تطيع العسكر الفرنساوى أيضاً تنصب صنجاق السلطان العثمانى محبنا دام بقاؤه .

المادة الرابعة : المشايخ فى كل بلد يختمون حالاً جميع الأرزاق والبيوت والأملاك التى تتبع المماليك ، وعليهم الاجتهاد التام لئلا يضيع أدنى شئ منها .

المادة الخامسة : الواجب على المشايخ ، والعلماء والقضاة والأئمة أنهم يلازمون وظائفهم ، وعلى كل أحد من أهالى البلدان أن يبقى فى مسكنه مطمئناً ، وكذلك تكون الصلاة قائمة فى الجوامع على العادة ، والمصريون بأجمعهم ينبغى أن يشكروا الله سبحانه وتعالى لانقضاء دولة المماليك قائلين بصوت عالٍ : «أدام الله إجلال السلطان العثمانى ، أدام الله إجلال العسكر الفرنساوى . لعن الله المماليك ، وأصلح حال الأمة المصرية» ، تحريراً بمعسكر إسكندرية ١٢ شهر سيدور سنة ست[١] من إقامة الجمهور الفرنساوى ، يعنى فى آخر شهر محرم سنة ١٢١٣ هجرية أهـ بحروفه[٢] .

وفى يوم الخميس الثانى والعشرين[٢] ، من الشهر ، وردت الأخبار بأن الفرنسيس وصلوا إلى نواحى فوة ثم إلى الرحمانية[٣] .

واستهل شهر صفر سنة ١٢١٣[٤]

وفى يوم الأحد غرة شهر صفر[٥] ، وردت الأخبار بأن فى يوم الجمعة التاسع والعشرين من شهر محرم[٦] ، التقى العسكر المصرى مع الفرنسيس ، فلم تكن إلا

---

(١) ١٢ شهر سيدور = آخر محرم ١٢١٣ هـ / ١٤ يوليه ١٧٩٨ م .

(٢) ٢٢ محرم ١٢١٣ هـ / ٦ يوليه ١٧٩٨ م .

(٣) الرحمانية : قرية قديمة ، اسمها الأصلى «محلة عبد الرحمن» ، وعرفت فى تاريخ ١٢٢٨ هـ / ١٨١٣م ، باسمها الحالى ، وهى إحدى قرى مركز شبراخيت - محافظة البحيرة .
رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق٢ ، جـ ١ ، ص ٣٠٥ .

(٤) صفر ١٢١٣ هـ / ١٥ يوليه - ١٢ اغسطس ١٧٩٨ م .

(٥) ١ صفر ١٢١٣ هـ / ١٥ يوليه ١٧٩٨ م .

(٦) ٢٩ محرم ١٢١٣ هـ / ١٣ يونيه ١٧٩٨ م .